خلود النفس عند القدماء

كان المصريون منذ أقدم العصور يعتقدون أن للإنسان روحًا، وأن هذا الروح لا يموت بموت الجسد، بل يحيا بعد ذلك حياة أخرى. وكانوا لا يرون فى الموت إلاّ تبديل الحياة. والإنسان عندهم كان يعيش تحت الأرض كما كان عائشًا عليها. ولئن كان الجسد يخمد فإن مثاله الكامل يحيا بعده. وكانت تقوم حياة المثال أو الشبيه بالمحافظة على الجسد أو الهيكل الأصلى. ولقد كان اعتقادهم هذا هو السبب الأوّل فى أنهم عنوا عنايتهم الكبيرة ببناء القبور المتينة، وتشييد الأهرام الضخمة، وتحنيط الجثة، والإكثار من التماثيل الحجرية مع الميت فى قبره.

وبعد أن كانوا يحنطون الجثة كانوا يودعونها مقبرة تختلف زينتها باختلاف مقام الميت. وكانوا يسدّون مدخل المقبرة بقطع من الصخر ضخمة ضنًّا بكرامة الميت أن يمسّها رجس.

وقد كان الغرض الأوّل من هذا كله حفظ الجثة من الفناء لكى يجدها الروح كلما دخل عليها القبر، فإذا تعفنت مع ذلك وأكلها البلى فالتمثال يقوم مقامها، وإليه يرتاح الروح. وقد يفنى تمثال ويبقى آخر؛ ولهذا استكثروا من التماثيل فى القبور، حتى إذا فنى بعضها بقى البعض الآخر.

ومن الأمور المتناقضة التى لم يخطر على بال المصريين كشف النقاب عنها أن النفس لم تكن تقيم مع المثال بل كانت تفارقه لتمثل بحضرة أوزيريس وقضاة الجحيم الاثنين والأربعين، حيث كانت توزن أعمالها فى ميزان الحقيقة والعدل الذى لا يزلّ فالنفس المذنبة كانت تسقط فى الجحيم حيث تقتات وتشرب من المواد الدنيئة وتطاردها العقارب والحيات. وحيث تلقى الموت بعد احتمال العذاب ألوانًا.

أما نفس البارّ فكانت تتمتع بالغبطة بعد التجارب العديدة وتصير رفيقة «أوزيريس» ينبوع الرحمة الذى يقدّم لها أشهى الأطعمة[1].

إذن فقد كان المصريون القدماء يعتقدون أن الإنسان لا يموت بموت الجسم. وأنه كان يحيا بعد موته حياة أخرى يحاسب فيها على أعماله فى الحياة الدنيا، وتوزن فيها حسناته وسيئاته، فمن رجحت حسناته استحق الثواب، ومن رجحت سيئاته استحق العقاب.

---

(١) انظر كتاب «على هامش التاريخ المصرى القديم» للأستاذ عبد القادر حمزة، وانظر كذلك كتاب «النهج القويم فى تاريخ شعوب الشرق القديم» ص ٢٢٥/٢٢٦.

ولكن ماذا كانوا يفهمون من الثواب والعقاب؟

وكيف كانوا يتخيلون دار النعيم فى الحياة الأخرى للأتقياء الصالحين، ودار العذاب للأشرار المفسدين؟..

محاكمة النفس عند القدماء:

روى ديودور الصقلى[1] فيما رواه عن محاكمة الأموات فى مصر، أن المصريين كانوا كلما مات لهم ميت أبلغوا موته ويوم دفنه لأقاربه ومعارفه ولقضاة مكلفين أن يحاكموه. فإذا جاء يوم الدفن حملت الجثة فى قارب يجتاز بها بحيرة، وجلس القضاة والمعارف ينتظرونها عند الشاطئ الثانى، فإذا وصلت إلى المرسى أبيح لكل مدّع على الميت أن يتقدم للقضاة بدعواه، فإذا ثبت أن الميت أساء فى حياته حكم القضاة بحرمان جثته من مدفنه. أما إذا لم يتقدم أحد أو إذا ثبت أن المدّعى كاذب فأهل الميت يخلعون حدادهم ويثنون على ميتهم، فيجيب الجمهور بالتصفيق ويتمنى للميت الخلود مع الأبرار. والعقاب الذى ينزله القضاة بكل مدّع كاذب فى هذه الحالة عقاب شديد رادع.

---

(١) ديودور الصقلى: (توفى بعد ٢١ ق.م.) مؤرخ إغريقى، ولد بصقلية. زار مصر بين سنة ٦٠ وسنة ٥٧ ق. م. ألّف بالإغريقية كتابًا فى تاريخ العالم، يقع فى ٤٠ مجلدًا، وينتهى بالحروب الغالية. وصلنا منه الأجزاء (١ - ٤ و١١ - ٢٠). ووضع عن مصر كتابًا وصفيًا.

هكذا روى ديودور، وهو مخطئ، وقد التبس عليه الأمر، فأحد ما كان المصريون يعتقدونه حسابًا يؤدّيه الميت فى الحياة الأخرى أمام قضاة من الآلهة، على أنه حساب يؤدّيه أمام قضاة من الأحياء قبل أن يدفن. فما كتبه ديودور فى هذا يجب أن يضاف إلى الأشياء الكثيرة التى أخطأ المؤرخون اليونانيون والرومانيون فهمها فى ما كتبوه عن المصريين. ولكن خطأ ديودور لا يمنع من أن فى روايته حقيقة بارزة هى أن المصريين كانوا يعتقدون أن الميت محاسب بعد موته على سيئاته وحسناته، معاقب على الأولى، مثاب على الثانية.

وقد راجت هذه العقيدة، وراحت معها عبادة «أوزيريس» فى زمن الدولة الوسطى، ثم راجتا أكثر فى زمن الدولة الحديثة؛ لأن كل أحد صار يرجو أن يكون مثل أوزيريس فى الحياة الأخرى. وكان أوزيريس قد نشأ فى مدينة بوزريس (وهى الآن أبو صير بمديرية الغربية)، فانتقل إلى مدينة أبيدوس (وهى الآن العرابة المدفونة بمديرية جرجا)، فاعتبرت عاصمة له ومدينة مقدسة يرغب الملوك والأمراء وقوّاد الجيش والأعيان وغيرهم من سواد الأمة فى أن يدفنوا فيها للتبرك بترابها، فإذا لم يجدوا أرضًا لهذا الغرض اكتفوا بأن يقيموا لأنفسهم فى مقبرتها لوحة تذكارية من الألواح الحجرية التى تقام على القبور.

وفيما بين الدولة الوسطى والدولة الحديثة أخذ ينتشر ما سمّى «بكتاب الموتى» حتى صار من العادات المرعية أن توضع نسخة منه

مع كل ميت. وهذا الكتاب يشتمل على فصول مختلفة بعضها فى خلق الكون، وبعضها فى بيان الأخطار التى يستهدف لها الميت بعد موته، وبعضها تعاويذ سحرية كان الذين وضعوها يزعمون أنها تنفع الميت وتنقذه من الأخطار، وبعضها - وهو ما يهمنا فى موضوعنا هذا - فى محاسبة الميت على أعماله فى الدنيا أمام محكمة أوزيريس..

وكانوا يجسّمون هذه المحاسبة فيضعون لها فى كتاب الموتى، وعلى النوابيت، رسم محكمة ومحاكمة وميزان. وفى هذه المحكمة يجلس أوزيريس على عرشه حاملاً عصاه وكرباجه، ومعه اثنان وأربعون قاضيا من الآلهة. ويلاحظ هنا أن مصر كانت مقسمة إلى اثنين وأربعين إقليماً فكان كلٌّ من القضاة يمثل إقليماً من هذه الأقاليم. فإذا جىء بالميت تسلمه أنوبيس[1] وأخذ قلبه فوضعه فى إحدى كفتى ميزان، ووضع فى الكفّة الأخرى تمثال الإلهة معات (إلهة الحقيقة والعدل) أو ريشتها، ثم وقف الإله توت[2] بجانب الميزان وفى يده اليمنى قلم وفى يده اليسرى سجلّ يدون فيه نتيجة الميزان، ثم يرفعها إلى أوزيريس. ويقف بالقرب من توت الوحش «أمابيت» وهو وحش

---

(١) **أنوبيس:** هو مدير دفن الأموات ودليلهم فى الدار الآخرة.

(٢) **توت أو تحوت:** هو المعروف عند اليونانيين باسم هرمس. وكان المصريون يزعمون أنه هو الذى علّمهم الكتابة والقوانين والحكمة وجميع المعارف. وهو لدى يقيّد وزن قلب الميت فى محكمة أوزيريس ويقدم تقارير عن أعمال الميت إلى قضاة المحكمة. وهو المعبود الأكبر فى مدينة هرموبوليس أو الأشمونين.

له رأس تمساح وجسم أسد، منتهيًا لأن يلتهم الميت الذى يصدر الحكم بالتهامه. وفى بعض الرسوم تضاف نيران إلى المحكمة فى مكان خاصّ منها، ليلقى فيها المذنبون. والقلب فى الميزان يمثل أعمال الميت فى حياته. وهو الذى يشهد بكل ما فعله صاحبه من خير أو شرّ[1].

* * *

وكتاب الموت يدلنا على نوع الأعمال التى كان الميت يحاسب عليها أمام أوزيريس، فقد وجد فى هذا الكتاب تضرّع من الميت إلى قلبه حينما يؤخذ منه ليوضع فى الميزان. وهو يقول فيه:

«أيها القلب الذى أخذته من أمى، وولدت به، وعشت معه على الأرض، لا تشهد علىّ. لا تكن خصمى أمام القوى المقدّسة. لا تكن ثقيل الوزن ضدّى».

ثم وجد فى كتاب الموت أيضًا دفاع يدافع به الميت عن نفسه حينما يأخذ أنوبيس فى وزن أعماله. وهو دفاع فيه معان سامية من معانى الأخلاق الفاضلة المتأثرة بعقيدة الحساب بعد الموت. فى هذا الدفاع يقول الميت كلمات تقديس يوجهها إلى أوزيريس والقضاة الذين معه[2]:

---

(١) انظر «على هامش التاريخ المصرى القديم» للأستاذ عبد القادر حمزة. (كتاب الشعب رقم ١١) ١٩٥٧ ص ٥٣ - ٥٥.

(٢) هذا الدفاع مترجم عن كتاب (Le Nil et la Civilisation Egy.) ص ٤٦٥ لمؤلفه موري. وقد قال موري إن هذ النصّ تلخيص وليس ترجمة حرفية، =

«لقد جئت إليك أجلب الحقيقة وأطرد الخطيئة.. إننى لم أقارف الشرّ، ولم أعتد، ولم أسرق، ولم أقتل غدرًا، ولم أمسّ القرابين، ولم أكذب، ولم أرسل دموع أحد، ولم أتدنس، ولم أذبح الحيوانات المقدسة، ولم أتلف أرضًا مزروعة، ولم أقذف، ولم أترك الغضب يخرجنى إلى غير الحق، ولم أزن، ولم أرفض أن أسمع كلمة العدل، ولم أسئ الظن بالملك ولا بأبى، ولم ألوث الماء، ولم أحمل سيدًا على أن يسىء إلى عبده، ولم أحلف كاذبًا، ولم أغش فى الميزان، ولم أمْنع اللبن عن أفواه الرضّع، ولم أصد طيور الآلهة، ولم أرد ماء حين الحاجة إليه، ولم أسدّ قناة رىّ على غيرى، ولم أطفىء نارًا يجب أن تشعل، ولم يخطر على بالى أن استخف بالآلهة، إننى طاهر، طاهر»[1]

= ويوجد فى كتاب (La Religion des Egyptiens) ص ٢٦٤ و٢٦٥ لمؤلفه أرمان نصّ يماثله ولا يختلف عنه إلاّ قليلاً.

(١) مما يستحق الملاحظة هنا أن هذه السيئات التى يتبرأ منها الميت تنقسم إلى أنواع. فنوع منها خاصّ بالآلهة وهو مسّ القرابين، وذبح الحيوانات المقدسة، وصيد طيور الآلهة، والاستخفاف بالآلهة. ونوع خاصّ بالملك وبالأب وهو سوء الظن بهما. ونوع خاصّ بالسلوك مع الناس وهو مقارفة الشر، والاعتداء، والسرقة، والقتل غدرًا، وإسالة الدموع، وإتلاف الأرض المزروعة، والقذف، والزنا، والامتناع عن سماع كلمة العدل، وتلويث الماء، وحمل السيد على أن يسىء إلى عبده، والغشّ فى الميزان، ومنع اللبن عن أفواه الرضع، وردّ الماء حين الحاجة إليه، وسدّ قناة الرى على الغير، وإطفاء النار التى يجب أن تشعل. وهناك نوع خاصّ بتهذيب النفس =

وهذا الدفاع يسمّيه شامبليون «دفاعًا إنكاريًا» لأن الميت يعزو فيه لنفسه الحسنات والفضائل فى صورة إنكار للسيئات والرذائل.

ثم يخاطب الميت القضاة الاثنين والأربعين فيقول:[1]

«لكم الحمد أيها القضاة. إننى أعرفكم وأعرف أسماءكم. لست أسقط أمام أسلحتكم. إنكم لا تعلقون شيئًا ضدّى لهذا الإله الذى أنتم حاشيته. لا شأن لكم بى. إنّكم تقولون الحقيقة فى أمرى أمام سيد كل شيء؛ لأننى اتبعت الحق والعدل فى مصر. ولم أجدّف فى حق الإله، ولم يجد الملك المعاصر بى شيئًا يأخذه على. لكم الحمد أيها الآلهة الجالسون فى قاعة الحقيقتين[2]، والذين ليس فيهم أثر من كذب، وهم يعيشون من الحقيقة أمام حوريس المستقر فى شمسه. أنقذونى من «باباى»[3] الذى يأكل أحشاء العظماء فى يوم الحساب

= قبل أن يكون خاصًا بالغير وهو التدنس، وترك الغضب يخرج الإنسان إلى غير الحق، والكذب، والحلف كذبًا، ويختم الميت دفاعه بكلمة هى جماع الفضائل النفسية وهى قوله: «إننى طاهر. طاهر».

(١) هذا الخطاب مترجم عن كتاب (La Réligion des Egy.) ص ٢٦٦/٢٦٧ لمؤلفه أرمان.

(٢) المراد بالحقيقتين: حقيقة للوجه القبلى، وحقيقة للوجه البحرى. وكانت محكمة أوزيريس تسمى قاعة الحقيقتين.

(٣) فسّر أرمان كلمة «باباى» هذه فقال: إن المراد منها رفيق لإله الشر سيت أو سيت نفسه.

الكبير. هاكم انظروا: إننى آت إليكم بلا خطيئة ولا سوء. وقد فعلت ما يرضى الناس والآلهة. وأرضيت الإله بما يحبّه. وقد أعطيت خبزًا للجائع، وماءً للعطشان، وثيابًا للعارى، وزورقًا لمن ليس له مركب. وقد قدّمت قرابين للآلهة، وهدايا جنائزية للممجدين[1].

«أنقذونى واحفظونى، إنكم لا تتهمونى أمام الإله العظيم. إننى رجل ذو فم طاهر، ويدين طاهرتين، والذين يعرفوننى يقولون لى: مرحبًا بقدومك، مرحبًا بقدومك»[2].

فذلك الدفاع الإنكارى الذى يدافع به الميت عن نفسه، وهذا الخطاب الذى يوجهه الميت إلى القضاة، هما نتيجة مباشرة لعقيدة الحساب، وفيها الدليل القاطع على أن الميت يتقدم إلى الحساب وهو ممتلىء خوفًا من أن تكون أعماله فى الدنيا مؤدّية به إلى العقاب. ومن هذا الخوف تكون عقيدة الحساب أساس عمل الخير، وتهذيب النفس، والاستقامة فى معاملة الغير[3].

---

(١) الممجدون هم الأموات الذين كانوا صالحين فى الدنيا وينالون هذه المنزلة فى الآخرة.

(٢) فى هذا الخطاب فضائل دينية وأخلاقية غير التى مرّت فى الدفاع الإنكارى. وهذا يدلّ على أن هذا الدفاع الإنكارى لم يجمع كل ما كان المصريون يعتبرونه فضيلة وتهذيبًا نفسيًا.

(٣) يجمل بالقارئ إذا أراد المزيد من عقيدة الحساب بعد الموت ومحاكمة النفس، أن يرجع إلى كتاب «على هامش التاريخ المصرى القديم» ص ٥١/٦٨.

ويقول الدكتور سيد عويس اخبير الأوّل بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - فى كتابه «الخلود فى التراث الثقافى المصرى»[1]، إن ثمة ثلاث روايات مختلفة عن الحساب فى الآخرة عثر عليها فى أتم اللفائف البردية وأحسنها التى وصلت إلينا للآن. وكانت هذه الروايات، فى الأصل، بلا شك، مستقلة بعضها عن البعض الآخر.

وتبتدئ الرواية الأولى هكذا. «فصل فى دخول قاعة الصدق (الحق)» وهى تحتوى على ما يقوله المتوفى عند الوصول إلى قاعة الصدق، عندما يظهر فلان (يعنى المتوفى) من كل الذنوب التى اقترفها. ثم يوجه نظره إلى وجه الإله ويقول: «سلام عليك أيها الإله العظيم ربّ الصدق، لقد أتيت إليك يا إلهى وجىء بى إلى هنا حتى أرى جمالك. إنى أعرف اسمك. وأعرف أسماء الأثنين والأربعين إلهًا الذين معك فى قاعة الصدق هذه وهم الذين يعيشون على الخاطئين، ويلتهمون دماءهم فى ذلك اليوم الذى تمتحن فيه الأخلاق أمام «ونفر» (أوزيريس) ثم يأخذ المتوفى بعد ذلك يعدّد الخطايا التى لم يرتكبها فيقول:

---

(١) عن صفحات ٧٦/٧٢ من «فجر الضمير» لجيمس هنرى برستد ترجمة سليم حسن ص ٢٧٩/٢٧١. انظر أيضًا: «المظاهر الحضارية» لسليم حسن ص ٢٣١/٢٢٧، و«مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة» لأدولف أرمان وهرمان رانكه ص ٣٢٧.

« انظر.. لقد أتيت إليك. إنى أحضر العدالة إليك، وأقصى الخطيئة عنك. إنى لم أرتكب ضدّ الناس أية خطيئة.. إنى فى مكان الصدق هذا لم آت ذنبًا ولم أعرف أية خطيئة. ولم أرتكب أى شىء خبيث. وإنى لم أفعل ما يمقته الإله وإنى لم أبلغ ضدّ خادم شرًّا إلى سيده. وإنى لم أترك أحدًا يتضوّر جوعًا ولم أتسبب فى إبكاء أى إنسان. وإنى لم أرتكب القتل، ولم آمر بالقتل. وإنى لم أسبب تعسًا لأى إنسان. وإنى لم أنقص طعامًا فى المعابد. وإنى لم أنقص قربان الآلهة. وإنى لم أغتصب طعامًا من قربان الموتى. وإنى لم أرتكب الزنى. ولم أرتكب خطيئة تدنس نفسى فى داخل حدود بلدة الإله الطاهرة. ولم أخسر مكيال الحبوب. ولم أنقص المقياس. ولم أنقص مكيال الأرض. ولم أثقل وزن الميزان. ولم أحول لسان كفتى الميزان. ولم أغتصب لبنًا من فم طفل. ولم أطرد الماشية من مراعيها. ولم أنصب الشباك لطيور الآلهة. ولم أتصيد السمك من بحيراتهم (أى الآلهة). ولم أمنع المياه عن أوقاتها. ولم أضع سدًّا للمياه الجارية. ولم أطفئ النار فى وقتها (أى عند وقت نفعها). ولم أستول على قطعان هبات المعبد. ولم أتدخل مع الإله فى دخله. ».

بعد هذه الاعترافات ننتقل إلى منظر يمثل حساب المتوفى حيث نجد القاضى، وهو « أوزيريس »، يساعده الاثنان والأربعون إلهاً فى محاسبة المتوفى. وهؤلاء شياطين مخيفة يحمل كل منهم اسمًا بشعًا، مثل آكل الظل الذى يخرج من الكهف، وكاسر العظام الذى يخرج من

هناسيا المدينة.. إلخ. وكان المتوفى يذهب إلى كلّ واحد من هؤلاء المخلوقات ويوجه إليه اعترافًا ببراءته من خطيئة معينة. وتتناول هذه الاعترافات، الاثنان والأربعون، كثيرًا، من نفس موضوعات لإقرارات عن الخطايا التى لم يرتكبها المتوفى المذكور آنفًا.

ويذكر المتوفى بعد ذلك براءة نفسه أمام هيئة المحكمة العظمى كلها، بوجه عام، فيقول. «السلام عليكم أيتها الآلهة. إنى أعرفكم، وأعرف أسماءكم. وإنى لم أسقط أمام أسلحتكم. لاتبلغوا عنى شرًا لذلك الإله الذى تتبعونه..» ثم يأخذ بعد ذلك فى سرد مناقبه وأعماله الصالحة الدالة على خلقه العظيم.

أما الرواية الثالثة عن المحاكمة، فهى التى أثرت أعمق الأثر فى نفس المصرى، وهى أشبه بتمثيلية «أوزيريس» فى العرابة المدفونة، إذ ترسم لنا المحاسبة الأخروية، كما حدث بالموازين. فنشاهد الإله أوزيريس جالسًا فوق عرشه، فى نهاية قاعة المحاكمة، وخلفه كلٌ من الإلهتين «أيزيس ونفتيس». وقد اصطفّ على طول أحد جوانب القاعة الإلهة التسعة، وهم المعْروفون بتساوع عين شمس، يرأسهم «إلّه الشمس» وهم الذين ينطقون فيما بعد بالحكم. على أن ذلك المنظر الثالث من المحاكمة، كان فى بدايته شمسىّ الأصل، وهو الذى يحتل فيه أوزيريس الآن المكان الأوّل ليشاهد فى وسط المنظر موازين «رع» التى يزن بها الصدق، مطابقًا لما جاء فى مذهب «رع». ولكن

المحاكمة التى ظهرت فيها تلك الموازين وقتئذ صارت أوزيرية الصيغة. حيث كانت الموازين فى يد الإله الجنازى ذى رأس ابن آوى «أنوبيس»، «فاتح الطرق» الذى يخرج من قاعة المحاكمة ليقود المتوفى، وهو ممسك بيده أمام «أوزيريس» وعند دخول المتوفى لا ينطق أحد بكلمة. ويجلس ملك الموتى على عرشه فى مكان معتم، واضعًا التاج على رأسه ويمسك فى إحدى يديه بعصا، وفى الأخرى بمضرب الحنطة، فهو القاضى الأعلى للموتى. ومن أمامه يوضع الميزان العادل، حيث سيوزن عليه قلب الرجل المتوفى. ويقف «تحوت» كاتب الآلهة بجوار الميزان، وفى يده القلم والقرطاس حتى يسجل النتيجة. ويكون من بين الحاضرين كلٌ من «حورس» والإلهة «ماعت» إله الحق والعدالة. ويوجد خلف «تحوت» حيوان بشع الهيئة يسمى الملتهمة له رأس التمساح وصدر الأسد ومؤخرة فرس البحر، ويكون متحفزًا لالتهام الروح إذا وجدت ظالمة[1]. ويجلس القرفصاء حول القاعة المخيفة الاثنان والأربعون ماردًا، مستعدّين لتمزيق الشرير إربًا إربًا.

وحيث يسود السكون الرهيب، يبدأ الروح الزائر، مرة ثانية فى ترتيل اعترافاته. ولا يعلق أوزيريس على ذلك بشىء. ثم يلاحظ

(١) لعل هذا الحيوان البشع أقرب ما يكون إلى «التنين» المذكور فى صلاة المصريين المسيحيين على القبر حيث يقال: «وليضمحل حنق التنين». انظر كتاب التجنيز لحنّا غبريال ص ٢١.

الروح وهو يرتعد خوفًا وهلعًا، الآلهة وهم يزنون فى تروٍّ قلبه فى الميزان. بينما تكون الإلهة «ماعت» إلهة الحق والعدالة أو رمزها، وهو ريشة نعام، موضوعة فى كفة الميزان المقابلة.

ويفزع الروح مرتعدًا إلى قلبه حتى لا يشهد ضدّه قائلاً: «يا قلب الذى كنت قلبى، لا تقل: لاحظ الأشياء التى فعلها، اسمح لى بأن لا أظلم، فى حضرة الإله العظيم».

وإذا تبين أن القلب لم يكن لا ثقيلاً ولا خفيفًا، فإن المتوفى تبرأ ساحته وعندئذ يسجّل «تحوت» حكم المحكمة ببراءته، ويعرض النتيجة على أوزيريس الذى يعطى الأوامر لكى يعود القلب إلى المتوفى المقدم للمحاكمة. ثم يهتف ملك الموتى قائلاً: «إنه فاز بالنصر، دعوه الآن يسكن مع الأرواح ومع الآلهة فى حقول السعادة».

ويذهب المتوفى، بعد إطلاق سراحه وهو فرحان ليتطلع إلى عجائب العالم السفلى. فالمملكة المقدسة أعظم من مصر وأفخم، حيث تعمل الأرواح وتصيد وتحارب الأعداء. وحيث تكون لكل امرئ حصته من الواجبات فجيب عليه أن يفلح الأرض، وأن يحصد الحبّ الذى ينمو بوفرة وبارتفاع شهق. وحيث المحصول لا يخيب أبدًا. وحيث تكون المجاعة والأحزان والأكدار غير معروفة.

وإذا رغبت الروح فى لعودة إلى زيارة المناظر المألوفة على وجه الأرض، فإنها تدخل جسم طائر أو جسم حيوان، أو ربما تنضر فى

زهرة. وربما رغبت الروح فى زيارة قبرها فى شكل «الباء» فتحيى المومية، وتتطلع إلى المناظر التى كانت مألوفة وعزيزة فى الأيام السالفة.

أما أرواح الموتى التى يدينها أوزيريس بسبب الذنوب التى اقترفتها على وجه الأرض، فهى عرضة للعذاب المريع قبل أن يبيدها المردة الذين يجلسون القرفصاء منتظرين فى قاعة المحاكمة الرهيبة، الصامتة[1].

(١) انظر «فجر الضمير» ص ٢٧١/٢٧٩. و«المظاهر الحضارية» ص ٢٢٧/٢٣١ و«مصر والحياة المصرية» ص ٣٢٨/٣٢٩.